واحلني محل الثقة الامين عنده في مهمات شانه واسرار ديوانه
كان ناسون بعد حيا • وحسادي يلوون السنتهم بالقدح والجرح
لموقع الثقة بي ليا • اشفقت لقرب العهد بالاختبار من ان يعلق
بقلبه شيء من تلك الاقوال • ويغرطني عرض القبول بعض تلك النبال
فحضرته ذات يوم • وقلت انا همة مثلي من ارباب هذه الصناعة
لا ترتقي الى اكثر مما رايته الامير اهلا له من اختصاصه واستخلاصه
وتقريبه وترتيبه • واختياره لمهمات اسراره غيران حداثة عهدي
بخدمته من كتبه مرسوما • واهتمام الامير بنفسي بعض ما شغله يقتضيان
ان استاذنه للاعتزال الى بعض اطراف مملكته ريث ما يستقر له
هذا الامر في نصابه فيكون ما اتيه من هذه الخدمة اسلم من التهمة
واقرب الى السداد • وابعد من كيد الحساد فارتاح لما سمعه واوقعه
من الاحماد موقعه واشار على بناحية الرخج • وحكمني في ارضها انبواء
منها حيث اشا الى ان ياتيني الاستدعا فتوجهت فارغ البال رافع
العيش سالم اللسان والقلم • بعيد القدم عن مخاصات التهم وكنت
ادلجت ذات ليلة وذلك في فصل الربيع اوم منزلا امامي فلما
اصبحت نزلت فصليت وسبحت ودعوت وقمت للركوب ففتح ضيا
الشروق على صبيحة قرية ذات بنية محفوفة بالخضرة معمومة بالنور والزهرة
واما بها ارض كانها قد فرشت ببساط من الزبرجد منجد بالدر والمرجان
مرصع بالعقيق والعقيان يتسيب بينها انهار كبطون الحيات
في صفا ماء الحياة • وقد فغمني من نسيم هواها عرف المسك السحيق بالعنبر
الفتيق واستنبطت المكان ولقصورت منه الجنان وفزعت
الى كتاب ادب كنت استصحبه لاخذ الفال على المقام والارتحال ففتحتي
اول سطر من الصحيفة على بيت شعر وهو •

واذا

واذا انتهيت الى السلامة في مداك فلا تجاوز

فتفاءلت بهذا وايته الوحي الناطق والفال الصادق وتعدمت
بعطف مبينتي اليها وعشت ستة اشهر فيها في انعم عيش وارخاه واهنى
شرب وامراه الى ان اتاني كتاب الامير في استدعاي الى حضرته
بتبجيل وتاميل وترتيب وترحيب فرحلت وحطيت بما خطيت
منها الى يومي هذا وكان اختياره لذلك اجود ما استدل به ذلك
الامير على رايه وتدبيره ورزانته ووجد الى محله ومكانته
وما زال من بعد ينظم باقلامه منثور الاثار عن حسامه وينسج بعبارته
وشي فتوحاته ومقاماته وهلم جرا الى زمان فتوح الملك المعظم
يمين الدولة فقد كتب له عدة فتوح فقال في احد كتبها
كتبت وقد هبت ريح النصر من مهبها والارض مشرقة بنور
ربها الى ان زحزحه القضاء عن خدمته وتبذه الى ديار الترك
عن غير قصده وارادته وانتقل بها الى جوار ربه في سنة اربعمائة

ما خرج من فصوله القصار ومن امثاله والفاظه

من اصلح فاسده ارغم حاسده ومن اطاع غضبه اضاع ادبه
عادات السادات سادات العادات من سعادة جدك وقوفك
عند حدك المحن الاماعة الاذاعة الجنبة تهتك الهيبة الدعة
رائد الضعة من لم يكن نسيبا فلا ترج منه نصيبا الرشوة
رشا الحاجة اشتغل عن لذاتك بعمارة ذاتك اجمل الناس
ما كان للاخوان مذلا وعلى السلطان مدلا حسبك لا يعيبك
الاقدار الضنة لا الاقدار اذا بقي ما فاتك فلا تاس على ما فاتك
الدنيا فناء الفنا البشر عنوان الكرم ربما كانت الفطنة فتنة
والمهنة محنة من حصن اطرافه حسن اوصافه من تبرج بره تأرج

Copyright © King Saud University